تحويلها إلى موقع عملى ، لا يعنيه منه البكاء أو النحيب ، أو الإشفاق على النفس ، بل كأنه ينقض رؤية امرئ القيس وأشباهه من أصحاب الطلل حين أفاضوا فى صيغ البكاء ، واستهوتهم مواقف النحيب أملا فى التخفف من ألم النفس ومعاناة التجربة (١٠) .

وإنَّ شِفائى عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ .. فهَلْ عند رسمٍ دَارِسٍ من مُعَوَّل ؟

فإذا بالصورة ترفض تماماً من قبل تأبط شرا حتى ليحيل الأمر إلى تناقض صريح وتضاد بيّن بين منطقه وبين منطق شعراء القبائل ، ليرى الموقف من منظور مختلف وسياق خاص:

ولا أقُولُ إذا ما خُلَّةٌ صَرَمَتْ .. يا وَيْحَ نَفسِى مِن شَوْق وإشْفاق
لكنَّما عِـوَلِي إنْ كُنْتُ ذاَ عِوَلٍ .. عَلىَ بصَيرٍ بكَسْبِ الحَمْد سَبَّاق
سُبَّاقِ غَايات مَجْدٍ فى عَشِيرَتِهِ .. مرجِّعِ الصَّوْتِ هَدَّاً بيَن أَرْفَاقِ

وكأنه راح يرمى إلى تأكيد نفس اللغة فى نفس القصيدة حين يقول فيها مرة أخرى :

إنِّىٌ إذا خُلَّةٌ ضَنَّتْ بنَائِلها .. وأمْسَكَتْ بضَعيف الوَصْل أَحْذاق :
نجَوْتُ مِنها نَجَائى من بَجيلةَ إذْ .. ألقيْتُ ليلةَ خَبْتِ الرَّهْطِ أَرْوَاقِى

ألا ترى هذا التداخل المقصود الذى يقرن الشاعر فيه بين عالم المرأة وعالم الصعلكة على سبيل التعويض النفسى ، إنه الفرار منها إلى عالم الرفاق كما كانت إشكالية الفرار من القبيلة إلى الطائفة ، أو رفض القبيلة إلى القوم أو الحى ، ولكنه الفرار المؤقت الذى لا يستقيم الموقف إلا من خلال إعادة النظر فى طبيعة العلاقة الحتمية بعالم المرأة حين تتحول من فتاة الشاعر القبلى صاحبة الطلل التقليدى ، إلى الزوجة صاحبة الصعلوك الفارس ، تلك التى يعلق عليها أمله فى ترشيح ضرورة الخروج وتأكيد رؤيته وتبرير موقفه ، بدءا فى ذلك من اتخاذ طيفها وسيلة إلى إبراز جانب من تلك الرؤية منذ جعله طيفا